

أضواء البيان

@ 235 كما جاء في حق فرعون في قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ }
قَالَ ءَامَنْتُ أَزُّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هـَ الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِم بَنَوْا إِسْرَءِيلَ
وَأَزَّاهُ مِنَ الْمُؤْمِلِينَ } ، ف قيل له : { ءَأَنْ وَقَدْ ءَصَيْتَ قَيْلٌ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ } . .

وجاء أصح ما يكون في قوله : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ
نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنْتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَيْتْ فِي إِيْمَانِهَا
خَيْرًا } . .

فلما جاء بعض آيات ﷻ وظهر الحق ، لم يكن للإيمان محل بعد المعاينة { لَا يَنْفَعُ
نَفْسًا إِيْمَانُهَا } أي من قبل المعاينة كحالة فرعون المذكورة ، لأن حقيقة الإيمان
التصديق بالمغيبات ، فإذا عاينها لم تكن حينذاك غيباً ، فيفوت وقت الإيمان والعلم عند
ﷻ ، وعليه حديث التوبة : ما لم يغفر . قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } . والخشية : شدة الخوف ،
كما قال تعالى : { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } . .

وبين تعالى محل تلك الخشية في قوله : { إِنَّ زَمًّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ } لأنهم يعرفون حق ﷻ تعالى ويراقبونه . .
وقد بين تعالى حقيقة خشية ﷻ : { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَّا يَغْطِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . .
وقوله : { لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا
مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . .

فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق ﷻ عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن
، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخسفوا وتستروا وهم دائماً منيبون إلى ﷻ ، كما في قوله
: { هَٰذَا مَا تَدْعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيطٍ مِّنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَٰنِ
بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ } ، وهذه أعلى درجات السلوك مع ﷻ تعالى ، كما
بين أنها منزلة العلماء . .

وقد عاب تعالى أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من ﷻ ، ويخشون

